مؤتمر"التطورات الحديثة في دراسة القرآن الكريم"

بيروت: 12-13 محرم 1427/11-12 فبراير 2006

عبد الرحمن حللي، سامر رشواني، محمد الطاهر الميساوي

نظم المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالتعاون مع الملتقى الفكري للإبداع مؤتمراً في العاصمة اللبنانية بيروت حول: "التطورات الحديثة في دراسة القرآن الكريم"، وذلك يومي السبت والأحد 12-13 محرم 1427/11-12 فبراير 2006م، شارك فيه عشرون باحثاً من لبنان وسورية والعراق والبحرين والأردن والمغرب والجزائر وتونس وماليزيا، وقدَّموا فيه بحوثًا متنوعة الموضوعات، تم توزيعها على محاور أربعة على النحو الآتي: خصص المحور الأول لرصد الدراسات القرآنية الحديثة في العالم الإسلامي وفي الغرب، بينما خصص المحور الثاني للعلاقة بين اللسانيات والقرآن الكريم (اللغة والدلالة، الصوتيات، والتعبير الفني). أما المحور الثالث فكان في قضايا النص والتاريخ، في حين دار المحور الرابع حول قضايا التأويل (المنهج والمقاربات). اشتمل كل محور من المحورين الأول والثاني على ثلاثة بحوث، بينما اشتمل المحور الثالث على ثلاثة بحوث. أما المحور الرابع فقد قدمت فيه أربعة بحوث.

وقد استغرقت أبحاث المؤتمر وما دار حولها من نقاش وحوار تسع جلسات، بما في ذلك جلستا الافتتاح والختام. افتتحت الجلسة الأولى التي أدارها الدكتور رضوان السيد بآيات من الذكر الحكيم. وفي معرض كلمته أكد رئيس الجلسة الافتتاحية أهمية المؤتمر من

حيث الإسهام في معرفة آخر ما وصلت إليه الدراسات العلمية عن القرآن الكريم والرصيد العلمي الذي خلفته في العقود الأخيرة. ثم تحدث الدكتور فتحي الملكاوي كلمة المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مؤكداً أهمية هذا المؤتمر في حد ذاته باعتباره فرصة للقاء المختصين في الدراسات القرآنية، كما أكد أهمية العناية بدراسة القرآن باعتباره المرجعية الأولى والأخيرة لنهوض الأمة. ثم ألقى الأستاذ معتز الخطيب كلمة الملتقى الفكري للإبداع مؤكداً ضرورة إعادة بناء العلاقة مع القرآن من منطلق أن أي موقف إصلاحي في هذه الأمة يستلزم بالضرورة أن تكون له رؤية قرآنية محددة، كما أشار إلى التحديات التي تواجه الدراسات القرآنية الحديثة وضرورة التعامل معها بصورة واعية وفعالة.

وتلا ذلك محاضرة تأطيرية للشيخ الدكتور طه جابر العلواني حول "أصول القراءة". في هذه المحاضرة وجه المحاضرُ النقد للدراسات القرآنية في عصور الانحطاط لاقتصارها على النواحي البلاغية والتعبدية متجاهلة أو متناسية البعد الاستخلافي المطلوب لدراسة القرآن، كما انتقد اهتمام المستشرقين بالتراث السلبي والمريض الذي تماون المسلمون في نقده وتنقية الفكر الإسلامي من آثاره المدمرة. وتحدث الدكتور العلواني كذلك عن أصول القراءة الصحيحة للقرآن وعناصرها، وتناول قضايا عديدة منها ارتباط القراءة بالزمان والمكان والبعد الغيبي، مركزاً على ضرورة جعل القرآن مصدراً للهداية والاستبصار والاستخلاف، ملاحظاً انشغال كليات الدراسات الشرعية بما دار حول القرآن دون الانشغال بالقرآن ذاته.

وفي الجلسة الثانية تحدث الدكتور رضوان السيد (الجامعة اللبنانية) عن "الدراسات الاستشراقية المعاصرة والحديثة"، حيث استعرض أهم المراحل والاتجاهات التي شهدها الاهتمام الاستشراقي بالقرآن، متوقفاً بصورة خاصة عند نولدكه وعمله حول تاريخ القرآن الذي انتهى إلى أن نبوة محمد إنما هي نموذج لنبوات العهد القديم وأن القرآن مأخوذ عن المأثورات اليهودية والمسيحية، والذي أثر في كثيرين ممن جاؤوا بعده من الدارسين المستشرقين في الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين. أما في الستينيات من ذلك القرن فقد أشار

المحاضر إلى أنه سادت خلالها القراءات التفكيكية الراديكالية وهي نوعان: التفكيك الداخلي الذي حمل لواءه جون واسنبرو وكوك وكرون، والتفكيك الخارجي الذي مثله ليلنغ ولوكسمبورغ. وغاية هذا الاتجاه إرجاع النص القرآني إلى مصادر تاريخية أو دينية غير المصدر الذي يدعيه القرآن لنفسه، أي الوحي الإلهي. وفي النهاية أكد الدكتور السيد أن عدم جدية الدراسات الاستشراقية خلال العقدين الأخيرين ناتج عن طبيعة التصورات الغربية عن وضع المسلمين في العالم سياسياً واقتصادياً وثقافياً وعسكريا، وهي تصورات قائمة على النظر إليهم نظرة احتقار ودونية، وكذلك اعتبارهم مصدرًا للمشكلة والقلق.

ثم تحدث الدكتور إسماعيل عبد الله (الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا) عن "تأثير المدرسة الإصلاحية في مناهج مفسري عالم الملايو"، وخلص إلى تأكيد التأثير الكبير لمدرسة المنار عامة وتفسير الشيخ مصطفى المراغي بالخصوص في حركة التفسير والدراسات القرآنية في أرخبيل الملايو عامة وفي ماليزيا خاصة. وقد تجلى ذلك التأثير بوضوح في تفسير مصطفى محمود الذي نشر في منتصف القرن العشرين (1949). وانتشر هذا التفسير المكتوب بلغة مبسطة وأسلوب واضح بصورة خاصة في ولايتي كلنتان وترانغانو. وجرياً على نهج مدرسة المنار، تميز تفسير الشيخ مصطفى محمود بتأكيد قيمة العقل ومكانته في القرآن. وفي الختام لاحظ الدكتور إسماعيل عبد الله بأسى حالة التهميش التي آل إليها تراث محمود وغيره من رواد الفكر الإصلاحي في ماليزيا، بحيث أصبحت أعمالهم تدرس مجرد دراسة تاريخية باردة وكأن مؤلفيها ينتمون إلى ماض سحيق لا صلة له بحضارة المسلمين في تلك المنطقة.

أما الأستاذ محمد زراقط (معهد الرسول الأكرم بلبنان) فقد تحدث عن "الدراسات القرآنية في إيران"، متناولاً ترجمة القرآن إلى اللغة الفارسية من خلال استعراض لأهم مراحلها التاريخية والإشكالات العلمية والمنهجية واللغوية التي واجهتها والتي نجم بعضها عن مظاهر التداخل اللغوي بين العربية والفارسية. وقد توقف الأستاذ زراقط بصورة خاصة عند مشروع تفسير "راهنامه" (أي المرشد) الذي بلغ حجمه عشرين مجلداً بوصفه محاولة حديثة

لتقديم معاني القرآن وتوطئتها لجمهور الشعب الإيراني الذي لا يقرأ العربية، مبيناً منهجيته التفسيرية القائمة على ربط الآيات بالأنساق الموضوعية للقرآن الكريم.

وفي الجلسة الثالثة تحدث الدكتور إسرار خان (الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا) عن تفسير "أمين أحسن إصلاحي: تقييم منهجه في التفسير"، حيث بين أن هذا التفسير الذي كتبه صاحبه بالأوردية بقي مجهولاً على الرغم من أهميته الكامنة في اعتماد مفهوم نظم القرآن وعمود السورة أساساً منهجياً في دراسة القرآن الكريم. وبين المحاضر أن إصلاحي قد جرى في تفسيره على المنهج الذي اقترحه وبلور معاله أستاذه عبد الحميد لبفراهي في العديد من كتبه، وهو منهج تحتل فيه فكرة النظام والعمود (الموضوع) مكانًا بارزا.

ثم قدم الدكتور عبد الله الجيوسي (جامعة اليرموك بالأردن) ورقة عن "تطور البحث العلمي في العصر الحديث من خلال الرسائل الجامعية: الدراسات القرآنية نموذجاً"، قام فيها برصد الرسائل الجامعية التي أنجزت في مائة وخمس جامعة شملت أبرز الجامعات في العالم العربي وغيره من البلدان الإسلامية كتركية وإيران وباكستان وماليزيا، وكذلك بعض الجامعات الأوربية الأمريكية مثل جامعات السربون وهارفارد وكالفورنيا وإنديانا. وقد شمل الكشاف الذي أعده الباحث لهذا الغرض الحقبة الممتدة بين سنتي 1918-2005، أما الرسائل التي تم رصدها فقد بلغ عددها 4102، بينما بلغ عدد الجامعات 105. وقد لاحظ الدكتور الجيوسي مدى التنوع في الموضوعات التي تناولتها تلك الرسائل، مشيرًا إلى ما بينها من تفاوت من حيث القيمة العلمية والصرامة المنهجية، ومنبّهًا كذلك إلى مظاهر التكرار في الموضوعات المطروحة. ومن الأمور المهمة التي أكدها الباحث غلبة الرسائل التي يمكن تصنيفها تحت ما بات يعرف بالتفسير الموضوعي حيث بلغت نسيبتها 16% تتلوها الرسائل التي تتناول القضايا المتعلقة بمناهج التفسير بنسبة 12% إلخ.

وتلا ذلك بحث الدكتور أحمد إدريس الطعان (كلية الشريعة بجامعة دمشق) عن "القرآن الكريم والتأويلية العلمانية: النص واللعب الحر"، الذي أكد وجود وحدة فكرية أساسية ثاوية أو متخفية وراء المقاربات العلمانية للقرآن المتذرعة بالمناهج

اللغوية الحديثة ومناهج التأويل. وهي تصدر عن رؤية أو مشروع يسعى إلى أنسنة النص القرآني من خلال التذرع بمفاهيم حديثة، مثل التناص والرمزية ولا نهائية المعنى، بحيث يتم اختزال القرآن وتجريده عن مصدريته الإلهية، ومن ثم تحويله إلى نص لا هوية ذاتية له ليسهل التلاعب به وإفراغه من مضمونه.

وفي الجلسة الرابعة قدم الدكتور المصطفى تاج الدين (جامعة ظفار بعمان) ورقة عن "النص القرآني والمنهج اللساني: قراءة في كتاب الله والإنسان للمستشرق الياباني توشيهيكو إزوتسو". وقد قدم الباحث عرضًا عامًّا عن كتب معاني القرآن بوصفها البداية للتفسير النسقي المعتمد على التحليل الدلالي ولتأصيل أهمية اللسانيات في التفسير، ثم ختم كلامه برُؤيةِ طائر لنظرية الحقول الدلالية كما قدمها إيزوتسو وطبقها في دراسته للقرآن. وتجدر الإشارة هنا إلى أن وصف "مستشرق" الذي أطلقه الباحث على هذا المفكر في غير محله لعدة أسباب ليس هذا محل تفصيلها.

ثم تحدث الأستاذ عبد الرحمن الحاج (الملتقى الفكري للإبداع) عن "المفردة القرآنية كأداة لتحليل الخطاب"، مبيناً أهمية دراسة القرآن من خلال الشبكة الاصطلاحية للمفاهيم والمفردات الموجودة في القرآن ومن خلال اعتماد الحقول الدلالية والمحاور التركيبية للمفردات عبر سور القرآن كلها، بحيث يمكن التوصل إلى فهم نسق الخطاب القرآني في كلياته وجزئياته المتواشجة فيما بينها بما جعلها نظمًا واحدًا مترابطًا.

ثم قدم بعده الدكتور مسعود الصحراوي (جامعة الأغواط بالجزائر) ورقة عن "جدل العلاقة بين السياق الجزئي والسياق الكلي في القرآن" انتقد فيها المحاولات التأويلية التي تزعم الاعتماد على المنهج اللساني وهي بعيدة عنه وتعتورها مشكلات حقيقية ونواقص كبيرة، مما جعلها تقع في نوع من الإسقاط الإيديولوجي والتمحل المنهجي في تفسير آيات القرآن. وقد أرجع المحاضر ذلك القصور إلى عدم احترام أصحاب تلك المحاولات وربما عدم معرفتهم أصلاً بما سمّاه "قوانين التأويل العربي" بأبعاده ومستوياته المختلفة، فضلاً عن انتهاكهم للسياق القرآني، سواء كان سياقًا جزئيًّا يختص بمواقع الآية أو الآيات في السورة وعلاقتها بما قبلها وما

بعدها من آيات أم سياقًا كليًّا ينظر إلى الآية أو الايات في إطار القرآن كله.

وفي الجلسة الخامسة قدم الدكتور غانم قدوري الحمد (جامعة تكريت بالعراق) ورقة عن "تجديد التجويد في ضوء الدرس الصوتي الحديث مع مراجعة أحكام الضاد" دعا فيها إلى إعادة النظر في بعض قضايا علم التجويد بما يتوافق مع علم الصوتيات الحديث مطبقاً اقتراحه على طريقة أداء صوت الضاد. وقدم بعده الدكتور عماد الدين الرشيد (كلية الشريعة بجامعة دمشق) ورقة عن "التعبير الفني في القرآن الكريم: الدراما القرآنية نموذجاً" تحدث فيها عن تحويل اللغة المسموعة إلى حالة مرئية تنتقل من اللفظ إلى المخيلة، مشيراً إلى أن الدراما تقوم على صناعة الأحداث، فهي تمثيلية حوارية غير سردية تعتمد أساساً على إثارة الخيال.

واختتمت الجلسة وأعمال اليوم الأول بورقة قدمها الأستاذ سامر رشواني (دار العلوم بالقاهرة) عن "نشأة الإعجام في الخط العربي وأثره في الرسم العثماني من خلال الكشوف الأثرية الحديثة" تحدث فيها عن الخلاف حول تاريخ نشأة الإعجام في الخط العربي وما ترتب عليه من تصور عن طبيعة رسم المصحف العثماني وتاريخ المصاحف المخطوطة.

أما الجلسة السادسة التي بدئ بها اليوم الثاني للندوة فقد افتتحت بورقة للدكتور أحميدة النيفر (جامعة الزيتونة – تونس) المعنونة "تجديد مناهج التفسير: أطروحة أبو القاسم حاج حمد نموذجا"، وقد ناقش فيها الباحث مفهوم الجدل في كتاب "العالمية الإسلامية الثانية"، كما عرض لإشكالية أطروحته والمنهج الذي اعتمده ونموذج من القراءة التجديدية التي قدمها. وختم النيفر مداخلته بالقول إن أهم ما يميز قراءة حاج حمد سعيها المنهجي لأن ترى في القرآن أكثر من نص دعا إلى عقيدة التوحيد وإلى مستلزماتها السلوكية، وأنها من ثم جهد يهدف إلى تمكين المؤمن – من خلال قراءة توحيدية للنص – من أن يتجاوز بوعي مواقع التعطل في بنيته الثقافية وأن يتدخل في التاريخ ليسهم في اكتمال حكمة الإنسان ودعم أسباب عمله وتسديد فعله.

وتلا ذلك بحث الدكتور عبد الرحمن حللي (كلية الشريعة بجامعة دمشق) عن "المطلق والنسبي في القرآن الكريم: تطبيق في سورة التوبة"، وقد تحدث فيها عن وصف القرآن بأنه مطلق ومحددات نسبي الدلالة في القرآن، ولاحظ عدم اعتناء المفسرين ببعض الجزئيات في ثنايا النص وما يمكن أن تؤثر به في دلالته، مستشهداً بـــ"أل" العهدية في لفظ "المشركين" في سورة التوبة والتي تجعل دلالتها نسبية.

ثم تحدث الأستاذ معتز الخطيب (من الملتقى الفكري للإبداع) عن قضية "عرض الحديث على القرآن: مشروعيته وإشكالاته"، محاولاً رسم ملامح وخطوط نشأة الفكرة وتطوراتها معرفياً وأيديولوجياً، مع توضيح مسارات الفكرة من خلال الاستشهاد بنماذج من التراث الإسلامي والمقاربات المعاصرة.

وافتتحت الجلسة السابعة بورقة للدكتورة رقية طه جابر العلواني (جامعة البحرين) عن "ضوابط التأويل وأبعادها المنهجية في الدراسات القرآنية الحديثة" تحدثت فيها عن اتجاهين في التأويل: أحدهما مفرط في إهمال الضوابط والآخر يرفض أي نوع من التأويل مهما كان منضبطاً، وذكرت ضابطين للتأويل ينبغي مراعاتهما: الأول القراءة الشمولية في مقابل القراءة التجزيئية، والثاني الاعتماد على مقاصدية النصوص والقول بأن كل نص يحمل مقصداً ذاتيا.

وقدم الدكتور أحمد الخضراوي (جامعة الزيتونة-تونس) ورقة عن "هيرمنيوطيقا النص القرآني" ملاحظاً أن التفكير في القرآن أصبح تفكيراً تكرارياً اجترارياً لا اختلافياً اجتهادياً، ورأى أن تراجع التعامل مع القرآن كقوة تأملية تحررية نتج عنه تراجع عقلي، وتحدث عن القداسة باعتبارها أساساً في القراءة العلمية للقرآن. وقد اتخذ المحاضر موضوع الأحرف السبعة وتعدد القراءات في القرآن مدخلاً لما سماه بالتعدد اللساني في النص القرآني. وقد غلب على هذا البحث انبهار واضح بالمدرسة التأويلية الفرنسية وخاصة في إطار تيار ما بعد الحداثة.

وتحدث في الجلسة الثامنة محمد الطاهر الميساوي (الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا)

الذي قدم ورقة بعنوان "التفسير الموضوعي مفهوماً ومنهجاً: دراسة تاريخية وتحليلية مقارنة"، تتبع فيها تطور فكرة التفسير الموضوعي مفهومًا ومنهجًا من خلال المقارنة والمقابلة بين ما قدمه بشأنها كل من محمد عبد الله دراز ومحمد محمود حجازي وفضل الرحمن ومحمد باقر الصدر، مؤكدًا وجود حالة من التكامل بين آرائهم وأطروحاتهم. وقد أبرز الباحث بصورة خاصة النضج المنهجي الذي اكتسته فكرة التفسير الموضوعي لدى كل من محمد باقر الصدر وفضل الرحمن من خلال الحركة المزدوجة التي اقترحها كل منهما في تطبيق التفسير الموضوعي والقائم على الصلة الجدلية بين النص والواقع.

ثم تحدث الدكتور مصطفى بوهندي (جامعة محمد الخامس بالمغرب) عن "المقترح القرآني في مجال الإنسان من خلال قضية العهد بين إبراهيم وربه"، تناول قصة إبراهيم عليه السلام مع ولديه كما تناقلها التراث اليهودي والمسيحي ثم الإسلامي، وركز بصورة خاصة على قراءة قصة إبراهيم من خلال الشهادة. وختم الباحث ورقته بالقول بأن ما يقدمه القرآن بشأن الإنسان قادر، من خلال التفكر في آيات الله في الأنفس، على إعادة الاعتبار للقيم الإنسانية العظيمة التي تعرضت للكثير من التقويض وتخليصها مما ران عليها من رواسب أفقدتها نقاوتها وأصالتها.

أما الجلسة التاسعة فتضمنت كلمة ختامية للدكتور طه جابر العلواني تحدث فيها عن قراءة كتاب الله عز وجل سبيلاً للخروج من الأزمة المحدقة بالمسلمين، وطالب علماء المسلمين بتقديم قراءة ميسرة للقرآن تتصف بالحيوية والمرونة والفعالية، وأكد فكرة أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، مبرزاً القضايا التي ينبغي التركيز عليها لفعالية التعامل مع القرآن. وبعد تلك الكلمة تلا الدكتور عبد الرحمن حللي "البيان الختامي" المتضمن للتوصيات التي اعتمدها الباحثون المشاركون في المؤتمر.

لقد كان هذا المؤتمر ثريًّا بتنوع الاتجاهات التي عبرت عن نفسها فيه، حافلاً بنقاش فكري وحوار علمي فيهما غيرُ قليل من النضج والجدية، وقد ظلله هم حقيقي بالبحث في كيفية وصل الواقع بالقرآن لاستئناف مسيرة الأمة بفعالية وإيجابية.